النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٥ / ٢٠٠٠

الأحد ٥ تشرين الثاني
تذكار القديسين الشهيدين
غالكتيون وزوجته إبيستيمي
وأبينا البار أبراميوس

اللحن الثالث
إنجيل السَحَر التاسع

الـــرســـالـــة (غلاطية ١ : ١١ ١٩)
الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٦ : ١٩ –٣١)

+ البارة مطرونة

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في التاسع من تشرين الثـــاني لتذكـــار أمنـــا البـــارة مطرونة التي عاشت في القرن السادس مهملة كل اهتمام دنيـــوي لكـــي تلتصـــق بمعشوقها السماوي الرب يسوع المسيح.

وُلدت مطرونة نحو سنة ٤٧٠ في مدينة برجه، في إقليم بمفيلية في آســيا الصغرى. وقد تربت منذ صغرها على محبة الله ومحبة الفضائل المسيحية. زوّجها والداها وهي بعد صغيرة إلى رجل تقي اسمه ضومط وقد رُزقت بابنتها ثيودوتـــي

وهي في الخامسة عشرة من عمرها. وقد انتقلت بعدها للعيش مع عائلتها في القسطنطينية.

تعرّفت مطرونة في القسطنطينية على سيدة بارة، محبّة للرب، اسمها أفجانيا، كانت نموذجاً يُقتنى في الفضيلة وحسن العبادة، فصارتا تعبدان الله معاً بحرارة ولا تفارقان الكنيسة. وقد فاقت مطرونة أفجانيا في حُسن العبادة واقتناء الفضائل السامية في زمن وجيز.

كثر غياب مطرونة عن المنزل فشك زوجها في أمرها ومنعها من الخروج. صبرت وصلَّت كثيراً فاستجاب الله لصلاتها وسمح لها زوجها بالخروج إلى الكنيسة. في أحد الأيام سمعت قول الإنجيل ان من يريد اتباع المسيح عليه أن يكفر بنفسه ويحمل صليبه كل يوم ويسعى في أثره، فقرّرت هجر العالم والالتحاق بأحد الأديار لتصير ناسكة. عهدت بابنتها ثاودوتي إلى إحدى العذارى المؤمنات المدعوة سوسنَّة، وتزيّت بزي الرجال وقصدت دير القديس باسيان في القسطنطينية، وعاشت بين الرهبان دون أن يعرفها أحد، متخذة لنفسها اسم بابيلا. وصارت نموذجاً للطاعة والصلاة والصبر والصوم وسائر الفضائل الرهبانية.

عرف رئيس الدير بعد فترة بأمر مطرونة، ولكي لا يثير بلبلة أرسلها إلى دير للعذارى في مدينة حمص، حيث بقيت مدة طويلة تنمو نحو ملء قامة المسيح. وبقدر ما كانت تتقدّم في الحياة الروحية، بقدر ما كانت تريد إخفاء ذاتها. لكن صيتها كان ينتشر كالنار في القصب، فهربت إلى أورشليم ثم إلى بيروت.

أقامت مطرونة في بيروت، في أحد الهياكل الوثنية المهجورة، وقد أثارت جنون الشياطين عليها إذ سكنت في موضع يخصهم. ثبتت أمام هجماتهم وزئيرهم متسلّحة بنعمة الرب وصليبه، وبقيت تصلّي وتصوم في هذا الموقع. حاول الشيطان إيقاعها في تجربة التكبّر إذ صوّر لها انها تقية أكثر من غيرها، لكنها كشفت أحابيل الشيطان بنعمة الرب ونجت من التجربة ومجدت الرب.

لم يمضِ وقت طويل حتى صارت تأتيها النساء الوثنيات الطالبات التنسك، وصار عندها تسع تلميذات عشنَّ معها لسنوات طويلة، انتقلنَ بعدها إلى القسطنطينية حيث ذاع صيتهنَّ، فقصدهنَّ النبلاء والفقراء لأخذ المشورة والنصح. كما انضم إليهنَّ عدد من النسوة النبيلات اللواتي جلبنَ معهنَّ أموالهنَّ فاستخدمتها البارة مطرونة في بناء أحد أهم أديرة القسطنطينية.

بقيت مطرونة محافظة على حياة النسك والقداسة، وعاشت حوالي المئة عام. ولما علمت بقرب أَجَلها جمعت الراهبات وأعطتهنَّ إرشاداتها الأخيرة وودعتهنَّ، ثم رقدت بسلام بعد أن أمضت أكثر من ثمانين سنة في النسك والقداسة. فبشفاعتها أَللّهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ تعلُّم يسوع

«تعلّموا مني » لا يمكن أن نعرف يسوع، دون أن نتعلَّمه، يوماً بعد يوم، وساعةً بعد ساعة، وشيئاً فشيئاً. إنها مهمةُ طاعة ومثابرة، تتطلّب ألفةً يوميةً مع يسوع، فنكون بقربه، ونصغي إليه. «مني » إن المخلّص يرغب في هذه العلاقة المباشرة، الحميمة، مع كل نفس. يُترك لآخرين أن يهيئونا لرسالته ويعيدوها علينا إعادةً نافعة. بيد أنهم لن يكونوا، في كل حال، سوى معيدين. يبقى وحده المعلّم، ذلك الذي يُجري تعليمه من المنبع، فيمتزج التعليم بالمعلّم. إنَّ تقبّل رسالة يسوع، هو اكتشاف شخص المعلّم، الذي يريد أن يعلن لنا حقيقته. فماذا يريد أن نتعلّم بشأنه؟ إنه شيء جدُّ بسيط، ومقتضب، وفي متناول أكثر الناس وضاعة: «... إني وديع، ومتواضع القلب.» هذا ما يريد أن نعرفه، أولاً. فهل هو قليل؟ إننا نستطيع، تحت ستار الكلمات، أن نكتشف بيت لحم والجلجلة!

ويُفترض، لنتمسّك بمعرفة يسوع، أن نكون قادرين على بعض التجرّد، وعلى نوع من الموضوعية المقدسة، فتغدو هذه المعرفة اهتمام حياتنا الأسمى. يتعيّن إذاً أن لا يصبح اهتمامنا بأنفسنا، حتى على الصعيد الروحي، هو الأولى؛ بل أن يكون ما سنعلم عن يسوع، من يسوع نفسه، أثمن وأشهى مما سنعلمه عن ذواتنا. إن محيّا المخلّص يجعلنا نعي، بشكل مباشر، أبعادنا الخاصة، وموقعنا. وعن محيّاه تصدر، مباشرة، الإمكانية لا بل القدرة الفعّالة لتحوّلنا. لكن لا يستوليّنَّ وجه يسوع، لأول وهلة، على اهتمامنا، بسبب تأثيراته علينا، بل يجب أن يأسرنا، بادئ ذي بدء، جماله الذاتي.

«أنا معكم كلّ هذا الزمان، ولا تعرفني يا فيلبس!» وأنا معك، يا بنيّ، من سنين عديدة؛ ورغم هذا أبدو لك، من نواح كثيرة، مجهولاً. إن ما تعرفه عني، لا يساوي شيئاً، إذا قِيسَ بما يتبقى لك أن تتعلّمه. فهلاَّ تريد تخصيص وقتك الباقي، لمعرفتي؟!

معرفة المسيح «الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيّ الوحيد، والذي أرسلته، يسوع المسيح». ولا يكفي القول إن هذه المعرفة تحدُث في الحياة

الأبدية، إذ هي ذاتها الحياة الأبدية، وفيها قوام الحياة الأبدية وبالتالي، فإن الحياة الأبدية تبدأ على الأرض، فتكوّن هذه المعرفة، اللحمة بين الزمان والأبدية. ليس الإله الحقيقيّ الوحيد، والذي أرسله، يسوع المسيح، موضوعَيْ معرفة مستقلَّين. فنحن، عبر يسوع فقط، نعرف أبا يسوع وروحه. «مَنْ رآني فقد رأى الآب».

الأب ليف جيليه

+ مدرسة التنشئة اللاهوتية

لمناسبة مرور عشر سنوات على افتتاح مدرسة التنشئة اللاهوتية، ومع بدء السنة الدراسية الجديدة فيها، ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب، مساء الإثنين ١٦ تشرين الأول ٢٠٠٠ في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان. في نهاية الصلاة ألقى سيادته الكلمة التالية:

«أود أن أتذكر معكم ما علّمنا إياه آباء الكنيسة وأشرح الآية «من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» (متى ١٩:٥).

يظن الإنسان ان كلمة «عَمِلَ» تعني أن يشتغل في المدرسة أو في البيت أو في الشركة أو أي مكان ولكن المقصود هو عمل الإنسان على نفسه أي أن أعمل على نفسي لكي أستطيع التعليم، وهذا العلم ليس متعلقاً بالكتب التي يقرأ فيها البشر إنما بكتاب القلب المفتوح على كل الكيان. وليس ضرورياً أن يكون الإنسان كبيراً لكي يعلِّم. لقد قال الرب يسوع «دعوا الأولاد يأتون إليَّ» (لوقا ١٦:١٨) ولم يقل دعوا العلماء. أما الرسول بولس الذي كان يتكلّم بالروح القدس، قال «اختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود» (١ كور ٢٨:١). لقد اختار الرب الجهّال ليخزي من يدّعي العلم، حتى تظهر قوة الله وكي لا يدّعي الإنسان انه بقدرته يعلِّم. العلوم الأخرى تحتاج إلى سهر وجهد كبيرين، لكن علم اللاهوت الذي تجتهد الكنيسة أن تعلّمه، هو علم القلب فيه مكشوف، مفتوح كصفحة بيضاء ليكتب عليها اصبع المسيح. والله يكتب على ورقة متسخة، لذلك يعمل الإنسان على تنظيف صفحة قلبه لكي يفهم خطَّ الله اللطيف عليها.

قال يسوع: «من أفواه الأطفال والرضّع هيأتَ تسبيحاً» (متى ١٦:٢١). لأنه عرف الأطفال يؤمنون ببراءة وصدق. في كنيستنا نعطي الأطفال والرضّع المناولة لأن الطفل يؤمن أكثر من أي شخص كبير أنه يتناول يسوع، فيما الكبار

قد يتخاصمون وهم في طريقهم إلى المناولة. الطفل يقول بكل جوارحه أريد أن آخذ يسوع ويؤمن بما يقول، أما الكبار فغالبيتهم يتناولون ولا يؤمنون فعلاً انهم يأخذون جسد الرب ودمه لأن المؤمن الحقيقي يشعر بالإنسحاق وبأن الله غير راضٍ عنه، ليس لأن الله غير راضٍ، بل لأنه صادق في قلبه انه بحاجة إلى الكثير لكي يُرضي الله. بطرس ارتعد عندما قال ليسوع: أنت ابن الله. ومن يقرأ الإنجيل يلاحظ الارتعاش الذي كان يصيب التلاميذ عند الوقوف أمام ابن الله لأنهم واعون أنهم أمام مجد الله.

في الكنيسة الأولى كانت المدارس اللاهوتية للأشخاص الراغبين بالمعمودية، للموعوظين. عظات القديس كيرلس الأورشليمي (القرن الرابع) كانت موجهة للموعوظين. الموعوظ هو الذي يتلقى التعليم قبل أن يقتبل المعمودية. أما نحن المعمَّدين، فالمفروض أن يتعب أهلُنا وعرّابونا كثيراً حتى يجعلوا منا قديسين، أي عارفين جوهر الإيمان، لُبّ ما يُعلّم في مدرسة اللاهوت. في اللاهوت شيء يقارب الفلسفة والفكر، لكن الإنسان ذا القلب الإلهي يكتشف كل شيء ويعرف كل شيء بالإيمان والممارسة. الإنسان الذي يعيش في الكنيسة ويصلّي، إذا أراد أن يدرس اللاهوت يدرك انه يعرف الكثير. طبعاً يتعلّم أسماء القديسين وسِيرَهم وبعض المعالجات لبعض الأمور وبعض الهرطقات، لكنه يكتشف انه، كإبن للكنيسة، قد تعلّم اللاهوت من كتب الصلاة (الميناون والمعزي وغيرهما) الملهَمَة من الروح القدس. أما من يدّعي انه يواظب على الصلوات ولا يعرف اللاهوت فإما لا يكون منتبهاً لما يسمع في الكنيسة لأنه لا يحصر تفكيره في الصلاة أو لا يريد ذلك، أو انه لا يفهم ما يسمع وهذا دليل على تقصيره وعدم قراءته للكتاب المقدس لأن كل الصلوات التي نتلوها في الكنيسة تنبثق من الكتاب المقدس. التعليم اللاهوتي يصبح حاصلاً إذا كان القلب محلاً للاهوت.

القديس ايفاغريوس البنطي الذي اختبر الصلاة يقول «اللاهوتي هو من يصلّي، ومن يصلّي هو لاهوتي». فإذا كان الإنسان على علاقة مع الله فليس بحاجة لشيء آخر لأن هدف علم اللاهوت أن تعرف الله وعلاقته بالإنسان والعالم. الإنسان العطشان والجائع لله يعطش لقراءة الكتاب المقدس والصلاة وهو إنسان يحب الله والله يعلّمه اللاهوت ويرشده إلى الكنيسة والكتاب المقدس.

القصد من مدرسة التنشئة اللاهوتية ليس إعطاء درس في الرياضيات والفيزياء، ولا في علم اللاهوت لأن البعض يعرفون اللاهوت لكنهم ملحدون، وبعض

العلماء يعرفون اللاهوت والأديان لكنهم يعرفونها في رؤوسهم، ولم يقل الله أعطني رأسك وفكرك بل قال «يا بنيّ أعطني قلبك» (أمثال ٢٦:٢٣)، ولما سأل الناموسي يسوعَ مجرّباً: «يا معلّم أية وصية هي العظمى في الناموس» قال يسوع «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» (متى ٣٧:٢٢)، أي تحوّل فكرك وذهنك وقدرتك وقلبك وعقلك إلى محبة. الفكر دون محبة هو باب للشيطان. قد ينتفخ الإنسان نتيجة علمه ويتكبّر، والمتواضع الذي يلتهم الكتاب المقدس يشعر دائماً بالجوع والحاجة إلى تعلُّم المزيد لأن من يشرب ماء عذباً من نبع يعرف انه مهما شرب يبقى الكثير ليشرب. لقد أظهر الله نفسه لنا، تجسد ليكون المثال، والكتاب المقدس أُعطي لنا ليكون لنا الطريق، وبقدر ما نحب الله ونشتاق إليه يفرح بنا.

الرهبان فهموا «من عَمِلَ وعلَّم يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» على الشكل التالي: هناك تعبيران Praxis (العمل) وtheoria (الثاوريا). البراكسيس تعني أن نصلّي ونصوم، وبالصلاة والصوم والأعمال والتضرّع يصعدنا الله تدريجياً لنصل إلى النور الإلهي، الثاوريا، حيث تعجز الكلمات عن التعبير عما يحدث، لذلك يلتزم الرهبان الصمت ويقضون أوقاتهم في التأمل.

فمن أراد دخول مدرسة التنشئة اللاهوتية، عليه أولاً أن يفتح قلبه لسكنى الله فيه كي يكون الله حاضراً في كل مل يقوم به، وإذا أراد أن يعلّم تفيض من فمه أنهار كلمات تمجد الله. وهذا واقع يحياه الأشخاص الذين يشتاقون إلى الله في كل لحظة من لحظات حياتهم. وفي هذه المدرسة نساعد من يريد المزيد من المعرفة من أجل محاربة شهود يهوه وأصحاب البدع والأفكار المسيئة إلى الإيمان. الإيمان لا يحتاج إلى علم، بل إلى تُقى وسجود أمام الله. دعائي أن يكون طلاب مدرسة التنشئة اللاهوتية والمعلّمين فيها على المستوى وإلاّ فهم يضيّعون أوقاتهم».

+ كالكوتا الهند

تعزية كبيرة لنا أن نسمع اليوم عن أشخاص أرثوذكس يقومون بنشاط اجتماعي ورعائي في أفقر الأماكن في هذا العالم وأبعدها. هذا دليل ان هناك من يستجيب لنداء الروح القدس. لذلك، بفرح كبير وشكر جزيل للرب على نِعَمه،

نستعرض نشاط الأب إغناطيوس سنيس (Sennis) الذي يخدم الفقراء والمساكين في كالكوتا الهند، وقد أُطلق عليه لقب «الأم تيريزا الكنيسة الأرثوذكسية» (Mother Theresa of the Orthodox Church).

كان الأب إغناطيوس راهباً في دير ستافرونيكيتا (Stavronikita) في جبل آثوس في اليونان. وقد بدأ جهوده البشارية قبل عشر سنوات في كوريا حيث عاون الأسقف سوتيريوس في تأسيس بعض الإرساليات. ولم تمضِ فترة قصيرة حتى وجد نفسه في كالكوتا الهند، يتابع الجهود الإرسالية التي بدأها الأب أثناسيوس أنثيديس، الذي توفي أثناء عمله على تأسيس برنامج تبشري إرسالي في الهند.

أسس الأب إغناطيوس «جمعية المحبة الإنسانية الأرثوذكسية» بُعيد وصوله إلى كالكوتا، بهدف الاستجابة لحاجات المنطقة اليائسة. لم يكن يتكلّم كثيراً، لكن أفعاله أظهرت كيف تكون محبة المسيح التي لا تعرف حدوداً. استطاع تأسيس دارين للأيتام، أحدهما للذكور في قرية Kakdeep يضم خمسين طفلاً، والآخر للإناث خارج مدينة كالكوتا فيه مئتان وخمسون فتاة ويضم مدرسة وعيادة طبية ومركز تدريب مهني لتأمين مستقبل واعد للفتيات. كما أنشأ عدداً من المستوصفات لتقديم العناية الطبية المجانية لجميع أبناء المنطقة، وثلاث مدارس تؤمّن التعليم المجاني لأبناء القرى النائية.

إضافة إلى ذلك، تقدّم الجمعية وجبة صباحية يومية من الحليب الساخن والبسكويت لثلاثماية طفل مشرد في الشوارع، كما تقدّم كل إثنين حصة غذائية تكفي لمدة أسبوعين (طحين، زيت، سكر، فول، عدس، صابون، كبريت وأوراق صحية) لخمسماية من العائلات الأشد فقراً في كالكوتا.

الأهم ان الأب إغناطيوس اجتذب إلى الأرثوذكسية أكثر من خمسة آلاف شخص وبنى ست كنائس في القرى المجاورة للمدينة وهيأ ثمانية شبان ليصيروا كهنة ويساعدوه في خدمته الإرسالية والبشارية والاجتماعية.

إننا نرفع الصلاة لكي يقوّي الرب الأب إغناطيوس ومساعديه في خدمتهم في كالكوتا.